نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٩٥ — بين ملك وعالم

نفح الطيب : قال الحجاري صاحب (المسهب في أخبار المغرب) :

كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد أن (المسهب) إنما هو بفتح الهاء . والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الشنتمري المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

« سألك — أبقاك الله — الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش — سلمه الله — عن (المسهب) وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذي ذكره ابن قتيبة في أدب الكتاب والزبيدي في مختصر العين (أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة) فبين لي — أبقاك الله تعالى — ما تعتقد فيه ، وإلى أي كتاب تسند القولين لأقف على صحة من ذلك » .

فأجابه : « وصل إليّ — أدام الله تعالى توفيقك — هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذي أحفظه وأعتقده أن (المسهب) بالفتح المكثر في غير صواب وأن المسهب ، بالكسر البليغ المكثر في الصواب ، إلا أني لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ولكني أذكره عن أبي علي البغدادي عن كتاب (البارع) أو غيره معلقاً في عدة نسخ من كتاب (البيان والتبيين) على بيت في صدره لمكي بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان خير عي الرجال عي السكوت

والمعلقة : (تقول العرب أمسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج إذا افتقر ، قال الخليل : يقال : رجل مسهب ومسهب ، قال أبو علي : أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر في غير صواب ، وأمسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة : أمسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيد عن الأصمعي : أمسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر ...) انتهت المعلقة . فرأي مملوكك — أيدك الله تعالى — واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر (حصر مسهب) أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعي من الساكت والحصر فقال : (خير عي الرجال عي السكوت) والدليل على أن (المسهب) بالكسر يقال للبليغ المكثر في الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدي في المتسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل في معنى الذم لأنه من الثرثرة والهذر ، ألا تراهم قالوا : رجل مكثار كما قالوا : ثرثار ومهذار . فهذا ما عندي والله (تعالى) الموفق للصواب

وقد نشأت اللغات — وهي ظاهرة اجتماعية طبيعية محض — من النطق بأصوات بسيطة لجأ إليها الإنسان الأول للتفاهم وكان يعبر بها عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية أو الحاجات الحيوية ، ويقلد بها الأصوات الطبيعية للأشياء والأفعال المختلفة أو أصوات الحيوانات والطيور أو عوامل الطبيعة . ثم تصرف فيها وتوسع بالنحت والاشتقاق والقياس والإضافة والإدماج وتحويل الألفاظ من معانيها المادية إلى المعاني الرمزية والمعنوية الخ طبقاً لحاجاتهم المستجدة مع تقدمه في المدنية وارتقاء الحياة الاجتماعية والعقلية . فصارت اللغات البسيطة الأولية تتطور هكذا تطوراً يختلف باختلاف البيئات والأقاليم فنشأت اللهجات المختلفة واستمرت هذه في التطور والتحول عن أمهاتها حتى أصبحت لغات جديدة مستقلة تولدت من كل واحدة منها لغة أو لغات أخرى تسلسلت منها اللغات القديمة ثم الحديثة على نحو تطور الكائنات الحية النباتية والحيوانية (بما فيها الإنسان) وتسلسل الحديث منها من القديم طبقاً لنواميس التطور والتحول الطبيعية التي تشمل كل ما في الكون وعلى الأرض من الجمادات والكائنات الحية (وهي صورة من صور الجمادات ومظهر من مظاهرها) واللغات والشرائع والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية .

نصيف الفقيري

٨٩٦ - أبو بكر ، على

وفيات الأعيان : كانت لأبي الفرج بن الجوزي في مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي (رضي الله عنهما) فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك ، فقالت السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة (رضي الله عنها) تحت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت الشيعة : هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحته . وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإنعام النظر كان في غاية الحسن فضلا عن البديهة .

٨٩٧ — وغير منه عندي

في (بدائع البدائه) لعلي بن ظافر الأزدي :

أخبرني القاضي السعيد (ابن سناء الملك) قال: أخبرني الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت في بعض الأيام بأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ فأخذنا في ذم الدهر وإخنائه على أهل الفضل[1] وإذا بكلاب الصيد التي برسم الخليفة قد أبرزت في جِلال[2] الوشي والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه في الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلب وشيا (م) ثم يقنع لي بجـ لدي

واستجزته فقال :

الكلب خير عنده مني ، وخير منه عندي ...

٨٩٨ — خفيف على القلب ...

الكنايات للثعالبي : حدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال دخلت يوماً إلى الشيخ أبي نصر بن أربد ببخارى وعنده علوي مبرم قد تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه ، فلما نهض قال لي نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم مساعداً له على رأيه . فتبسم ضاحكا من قولي ، وقال لي : لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لي أنه أراد خفيفاً مقلوبا وهو الثقيل ، وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله :

وانثقل من قد زارني وكأنما تقلب في أجفان عيني وفي قلبي
فقلت له لما برمت بقربه أراك على قلبي خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلوي الأطروش إذا كلمه إنسان فلم يسمعه قال له : يا هذا ، ارفع صوتك ، فإن بأذني بعض ما بروحك ، يكني عن الثقل .

٨٩٩ — أيشربن من هذا الشراب ؟

الحيوان للجاحظ : حدثنا ربعي الأنصاري أن عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب ؟

فقالوا : نعم .

فقالت : زنين ورب الكعبة ...[1] .

٩٠٠ — يأتم بأبي فروخ . . .

الحيوان للجاحظ : قال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقـارا
وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنانيصاً صغارا

٩٠١ — ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك ؟

نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: قال أبو العلاء المعري:

يا ليت شعري وما ليت بنافعة ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك
كم خاض في إثرك الأقوام واختلفوا
قدماً فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو إثرها قمر ونور صبح يوافي بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمماً
شتى ولم يدر خلق أية سلكوا

وقال : إنك طبع خامس نفر عمري لقد زعموا بطلا وقد أفكوا
راموا سرائر للرحمن حجبها ما نالهن نبي لا ولا ملك

(١) جوره عليهم .

(٢) جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد والجمع جلال وأجلال (المصباح) ...

(١) في شرح المقامات للشريشي : يزنين ورب الكعبة ، والله لا يدري أحدكم من أبوه ...